فردريك نيتشـــــه

للأستاذ فليكس فارس

— ٢ —

« إن من الحب ما ينشأ عن الحياة الجسدية حاجة ملحة متقلبة كالحياة نفسها، وفى النساء كما فى الرجال أناس حبهم أشبه بالجوع والظمأ يتهافتون على أية مائدة ويرتوون من أى ينبوع . وماذا عساه يفهم من الحب من يرى المحبوب مائدة وينبوعاً ؟ قلّ من الناس من يدرك أن مَنْ أنكر على المحبوب شخصيته التى لا تستبدل فقد أنكر هو ذاته شخصيته التى يحس بها »

« لا صلاح لأمة فسدت منابت أطفالها ، وهذه عبر التاريخ ماثلة لعيان من يريد أن يرى

أفما كانت كل الأمم التى اندثرت واستبعدت تمر أولا فى مرحلة تدنى الأخلاق وانطلاق الشهوات عابثة بأشرف ما خلق الله فى الانسان ؟ »

« سوف يأتى يوم ، وهو غير بعيد ، تتنبه المدنية فيه إلى أن

(تاسعاً) وأخيراً ، وهذا أبعد ما استبعدنا أن يأتى به الدكتور العالم وهو أن العلم يتعرف روح الأمة ، فكتب الرياضيات والطبيعيات وحقائقها فى فرنسا هى غيرها فى ألمانيا، لأن لكل لوناً خاصاً فى الحياة . فالنظرية الآرية تختلف فى كل قطر على هذا الأساس الذى أتى به لأن روح الأمتين مختلفة . ولربما كانت نظرية الحمار فى بلاد الانكليز نظرية الدب فى روسيا لأن روحيهما مختلفان

هذا بعض ما لاحظناه على المقال المذكور ولو كان مجرد رأى لما حاولنا الجدل فيه ، ولكن الكثير منه يتصل بالأمة العربية والأمم الاسلامية وبعضه يتصل بالحقائق التاريخية

أما الرأى من حيث هو فيما لا يتصل بهذا أو ذاك فيدان الناظرة فيه واسع فسيح رهذا ما لم أقصده فى هذا المقام والسلام

(* * *)

الرجل المتفوّق الذى ينشده العلماء فى الغرب لن يخلق لهم من المنزل لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص خلايا المتزوجين بالمجهر حتى ولا من تلقيحهم بالمواد الكيماوية أو تطعيمهم بنبذ الفرود

إن الرجل الكامل أو الأقرب إلى الكمال إنما هو ابن الحب الكامل ، فالمحبة وحدها هى السبيل المؤدى إلى إدراك الحق والقوة والجمال

لندع العالم المتمدن يفتش فى علومه ونهضة مفكريه عن هذا الحب الذى تخيله ماركس متجلياً فى الحرية التامة للناس فى أهوائهم فجاءت البلشفة تثبت انخداع هذا الفيلسوف فى نظرياته ، ليفتشوا أنهم لن يتصلوا فى تجاربهم إلا إلى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن أبناء هذا الشرق الذى انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمساً من الخارج ؛ فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق إلينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهذيب ، ولا بجعل البلاد جنة غناء وتنظيماً تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذى يحمل أسباب شقائه وهو فى بطن أمه لا يمكنه أن يصير رجلا حراً قوياً يفهم حقيقة الحياة ويتمتّع بالعظمة الكامنة فيها

إن الاهتمام بايجاد الطفل الصالح أولى من العمل لاعداد العلم والتهذيب لطفل نصقل مظاهره صقلا وتتحطم كل محاولة للنفوذ إلى علّته المستقرّة فيه منذ تكوينه »

« ليس الفقير المتسوّل ، ولا العليل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشّى بلا سند إلى قبره . ليست المرأة المستعبدة بلقمة ولا الفتاة المخدوعة المنطرحة على أقذار المواخير ، ليس كل هؤلاء الناس الأشقياء فى الحياة بأشقى من الأطفال يجور عليهم آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يقذفوا بهم إلى الوجود ويرهقوهم بالقطيعة والاهمال بعد أن يدرجوا عليها أقدامهم الناحلة المتعثرة ...

الرجل الذى يمسخ حبه الواحد شهوات متعددة، والمرأة التى

التي تتقصف متهتكة ماسخة هيكل نسمات الله مر كما لنفايات البشر من عبّاد الخيانة والطيش ، إنما هما آدم وحواء مطرودَين من الجنان إلى أرض الجهود المضيّعة والآلام المحتّمة ، ومَنْ يدري أن حديث معصية الأبوين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التي تنزل اللعنة بمرتكبيها وبأبنائهم من بعدهم ... ويلٌ للرجل الذي يهدم بيديه سعادته وسعادة أبنائه، وويلٌ للمرأة التي تدنس منبت أطفالها !

* * *

ليس في تمهيد موجز كهذا مجالٌ لبحث فلسفة نيتشه التي شغلت كبار كتاب القرن التاسع عشر ولم يزل الفلاسفة يكتبون عنها إلى اليوم ، غير أن ما تناولناه إلماماً من نظريات نيتشه يكفينا لتحديد ما يجب أن نغفله منها دون أن ننتقص من قدر هذا العبقري لأنه اقتحم أسرار الكون معتمداً ذاته فعاد عن هذه الأسرار مدحوراً . وهل من كاتب قبله أو بعده تمكن من حل ألغاز الوجود والوقوف منها عند عقيدة صريحة تستغني عن الايمان بالقوة الخفية المتعالية عن التعليل والتحليل ؟

حَسْبُ نيتشه في موقف حيرته ، وما هي بالدرجة الوضيعة على سلم التفكير، أن يهتك سريرته أمامك دون أن يلجأ إلى إعمال السفسطة لإيجاد وحدة ظاهرية وتناسب مزيف في صرح تفكيره ، حسبه أن اندفع وراء المثل الأعلى الكامن في « إرادة القوة » تبعاً لتعبيره وفي نفس الانسان الخالدة تبعاً لعقيدة المؤمنين ، فبسط أمام المفكرين من مشاهد المجتمع ومن مسالك الأرواح على معابر الأرض ما لم يلمحه سواه من المتشائمين

إن ما نرانا بحاجة إلى الوقوف عنده من فلسفة نيتشه في كتاب زرادشت الذي لم تفته قضية اجتماعية لم يقل فيها كلمة كان لها دويها في العالم الغربي ، إنما هو هذه المبادئ التي تجتث ما غرست قرون العبودية في أوطاننا من استكانة حولت إيمانها إلى استسلام في حين أن روح شرعتها يهيب بالنفس إلى الجهادين في سبيل الوطن والانسانية جمعاء

إن الدين الذي يهاجمه نيتشه إنما هو صورة لأصل شوهها الغرب ، وما علّم هذا الدين أن الحياة معبر على المؤمن اجتيازه وهو مُعرِضٌ عن كل ماحوله معلق أبصاره على باب قبره . بل علم أنّ الحياة مرحلة من أشواط الآزال والآباد وما تعاهر أنفسٌ لم تحترق أجسادُها ولم تُعِدّ صلاحاً لباقياتها باصلاح زائلاتها

ليس نيتشه إذاً مبدع فكرة التكامل للانسان على الأرض فان التكامل مبدأ جعلته الأديان السماوية أساساً لكل وصية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، غير أن الدين قد أراد للانسان تكاملاً روحياً يهيئه إلى إدراك بارئه وراء المحسوس في حين أن نيتشه ، وقد أنكر مالا تقع الحواسُ عليه ، أراد أن يفلت الانسانُ من حدود إنسانيته على هذه الأرض فيجعلها جنةَ خلدٍ يستوي عليها بجبروته إلهاً . . .

وقد عزب عن هذا الفيلسوف أن المخلوقات كلها في سلسلة الوجود لا تملك الانعتاق من حدود أنواعها، ومهما كرّت القرون وتعاقبت الأجيال لا يمكن للجماد أن يفلت من مملكته إلى مملكة النبات، ولا للنبات أن يجتاز حدود مملكة الحيوان، ولا للحيوان أن يجتاح مملكة الانسانية .

لذلك كان الذاهب في طلب إنسان يتفوق على الانسانية كالمحاول استنبات الشجرة حيواناً أو استبدال الحيوان إنساناً .

لقد كرت القرون على مبدأ التاريخ الذي نعلم وعلى ما لا نعلم من حقب كرّت ما وراءه ، والانسان لم يزل هذا المخلوق الدائر أبداً ضمن حلقة إنسانيته .

لقد كان نيتشه من المعتقدين باستحالة الأنواع حين صرخ بلسان زرادشت وهو يخاطب الحشد في الساحة العمومية :

« لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى . على أنّ الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديته »

ولكنه بالرغم من هذا يصرّح بأن هذا النوع الفردي وهو الانسان لم ينسلخ عن أصله، فكيف زين له خياله أن في هذا النوع إنساناً فائقاً لا يزال كامناً منذ البدء ينتظر قدوم فيلسوف في أواخر القرن التاسع عشر يستدعي هذا الجبار ويبعثه بإرادة جديدة تتسلط لا على الحاضر والمستقبل فحسب بل على ما مر وتوارى أيضاً في عاصفات الأحقاب ؟..

إن بدعة الانسان المتفوق إنما هي في تقديرنا تشوق نفس شعرت بأنها كانت وستكون ، وقد ضرب الالحاد حولها نطاقاً فتوهمت أنها ستبلغ في هذه الحياة ما ليس من هذه الحياة .

إن نيتشه يمان إلحاده بكل صراحة ويباهي بكفره؛ غير أننا لا نكتم القارىء الكريم أن ما قرأناه بين سطوره ، وقد مررنا بها كمن عليه أن يتفهم كل معنى ويستجلي كل رمز ، يحفزنا إلى القول بأننا لم نر كفراً أقرب إلى الايمان من كفر هذا المفكر الجبار الثائر الذي ينادي بموت الله ثم يراه متجلياً أمامه في كل نفس تخفق بين جوانح الناس من نسمته الخالدة ، فان هذا الملحد ، بالرغم من اعتقاده بأن الجسد هو أصل الذات وأن الروح عرض لها وبان كلا الروح والجسد فانيان ، لا يملك نفسه من الهتاف وهو يؤكد عودة كل شيء واستمرار كل شيء فيقول :

— أواه كيف لا أعن إلى الأبدية وأصطرم سوقاً إلى خاتم الزواج ، إلى دائرة الدوائر حيث يصبح الانتهاء ابتداء . إنني لم أجد حتى اليوم امرأة أريدها أماً لأبنائي إلا المرأة التي أحبها لأنني أحبك أيتها الأبدية !

إنني أحبك ، أيتها الأبدية

أن هذه الهتفة الرائعة تصدو في أعماق روح تتطير من الزوال من ابتسامة الملحد الصفراء وهو لا يرى وراءه وأمامه إلا العدم والزوال ، بل يكاد يرى وجوده خدعة وخيالاً كاذباً

إن فلسفةً لا تستنيم لفكرة الفناء ولا ترى في النهاية إلا عودة إلى بداية ليست بالفلسفة الجاحدة ، فالمفكر المؤمن بانسانية عليا تتدرج إلى الكمال حتى ولو قال بألوهية الانسان على الأرض لا يمكنه إلا أن يؤمن في قرارة نفسه بكمال مطلق تتشوق روحه إليه ما وراء هذا العالم

ولا بد هنا من إيراد تاريخ موجز لحياة هذا الفيلسوف ، وليس في حياته القصيرة وهي مليئة بالآلام من الحوادث ما يستحق التدوين غير المراحل التي مر عليها تفكيره فتأثر بها . وهل نيتشه إلا فكرة وهل حياته إلا وقائع ميادينها السطور والصفحات ؟

ولد هذا العبقري الثائر سنة ١٨٤٤ في بلدة روكن من أعمال بروسيا وكان أبوه واعظاً بروتستانياً من أسرة بولونية هجرت بلادها في القرن السابع عشر على أثر اضطهاد شرد منها أشياع كنيسة الاصلاح

ولما بلغ فردريك الخامسة من عمره توفي والده فكلفت أمه تربيته وتربية أخته فأرسلته إلى مدرسة نومبورغ ثم انتقل منها سنة ١٨٦٤ إلى كلية بون وليبسيك حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره سنة ١٨٦٩ تجلى نبوغه فعين أستاذاً للفلسفة في كلية بال

بعد سبع سنوات أي سنة ١٨٧٦ ظهرت عليه أعراض « الزهري الوراثي » فحكمه صداع شديد أضعف بصره فبقي يلقي الدروس حتى سنة ١٨٧٩ إذ اضطر إلى الاستعفاء ليذهب متنقلا بين روما وجنوا ونيس وسيل ماريا وهو يعمل الفكر ويكتب مصارعاً علته عشر سنوات ، فلا هو يبرأ منها فيحيا ، ولا هي تجتاح دماغه الجبار فيموت إلى أن جاءته سنة ١٨٨٩ بالفالج مقدمة للجنون فتوارى سنة ١٩٠٠ بعد أن سبقته إلى الموت عبقريته العليلة وإرادته الوثابة الجبارة

« يتبع »

فليكس فارس

الزراعة العملية الحديثة

تأليف العلامة الأمير مصطفى الشهابي

خريج كلية غرينيون ومدير وزارة الزراعة
ووزير المعارف سابقاً في سورية

اشتهرت كتب الأمير الشهابي الزراعية في العالم العربي وأشهرها هذا الكتاب الذي نفدت نسخه منذ بضع سنين . وقد أذن لنا سعادة المؤلف أن نطبعه طبعة ثانية في دمشق بعد أن نقحه وأضاف إليه اختباراته وتجاربه الزراعية فجاء في خمسمائة صفحة بأحرف صغيرة وورق مصقول ، واشتمل على ١٣٩ صورة وهو يبحث عن الأتربة وتركيبها وخصائصها وعلم حياة النبات والأعمال الزراعية والأسقاء وصرف الماء والمصطلحات والأسمدة والدورة الزراعية وزراعة الحبوب كالحنطة والشعير والذرة والأرز ، والقرنيات كالفول والفاصولياء ، ونباتات الكلأ ، والنباتات الليفية كالقطن والقنب والكتان ، والنباتات الزيتية كالسمسم والخروع ، ونباتات الصباغ كالحناء والنيل ، والنباتات « المدرة » كالبطاطا والشوندر ، ونباتات مختلفة كالتبغ وقصب السكر ، وأهم القواعد في زراعة الأرض اليابسة أي التي أمطارها قليلة الخ

وقد وفق المؤلف الفاضل بين العلم والعمل وأوضح للقارىء أصلح القواعد التي يجب على أرباب الزراعة أن يسيروا عليها .

ولا يستغني أرباب الزراعة واساتذة المدارس وتلامذة المدارس الزراعية وخريجوها عن هذا الكتاب

وقد خفضنا ثمنه إلى ٢٠ قرشا صاغا تشجيعا للطلاب

وهو يطلب منا ومن جميع المكاتب المشهورة

مكتبة محمد زكي الشاربني بطولكرم — فلسطين